يؤخذ هذا المقال من القسم الثالث مع ذكر التاريخ 14 ديسمبر 1975

من حياة السود في أمريكا
العبودية ومابعدها

6

الأزرق بن علو

في عام 1619 جلبت باخرة هولاندية عشرين رجلا افريقيا الى مدينة « جيمزتاون » في ولاية فيرجينيا . جلبوا كعمال يخلى سبيلهم بعد عدد من السنوات . وما أن حل عام 1670 حتى كانت ولاية فيرجينيا قد رخصت نظام الرق .

لم يأت السود الى امريكا برضاهم ليختاروا حياة جديدة . لم تكن لهم أحلام وآمال الاروبيين عندما وصلوا الى سواحل العالم الجديد ، ولم يطأوا أرض أمريكا بأنفس بهيجة متشوقين الى التمتع بخيراتها . لم يرحلوا الى أمريكا بحثا عن الغنى والحرية بل سيقوا اليها بقلوب دامية واهانة لامثيل لها. وكانت أول معاملة لاقوها من أشخاص يدعون بأنهم من اتباع المسيح تعبيرا واضحا عن مدى طغيان وجشع الامريكيين البيض . ولم تنته مصائب الجيل الاول من السود بموتهم بل ورثت الاجيال التي تلتهم اغلالهم .

وثار الرجل الاسود ، كما يثور الذين غلبوا على أمرهم ، فانتهز جميع الفرص واستعمل مختلف وسائل النضال . فلجأ أحيانا للخطابة والكتابة وطورا للثورة فخلد تجاربه في نثره واناشيده وخطبه ورسائله واشتعاره وقصصته الشعبية.

وعندما شعر حماة نظام الرق البغيض بعواقبه السيئة وشروره المتزايدة وجهوا اللوم الى بريطانيا وقالوا أنهم انما ورثوا هذا النظام عنها وانهم يرغبون في التخلص منه «لو استطاعوا».

وسرعان ما اختبرت الايام دعواهم عندما تخلصوا من الحكم البريطاني وأصبحت الولايات المتحدة تتمتع بسيادتها . كانت وثيقة إعلان الاستقلال عملا جليلا ، احتوت مشاعر وآراء ومبادىء انسانية . ولكن ماذا استفاد الرجل الاسود في أمريكا ؟ وهل تغير وضعه بعد الاستقلال ؟

وأريقت دماء كثيرة (في سنوات 1861 — 1865) عندما اشتبك الشمال والجنوب والبيض والسود في حرب أهلية . وقاتل الرجل الاسود لانه كان يعتقد أن مصيره مرهون بنتيجة الحرب. وفي سنة 1865 ، عندما انتهت الحرب ظن الرجل الاسود بأن فجر الحرية قد طلع ، ولكن سرعان ماخاب ظنه .

ووفق على التعديل الثالث عشر للدستور . وكان هذا التعديل يقضي بمنع الرق . ولكن ذلك لم يغير من واقع الامور شيئا كثيرا . وظهرت منظمات تهدف إلى نشر الرعب والفوضى وتهدف الى اضطهاد السود مثل منظمة «فرسان الكاميلية البيضاء » ومنظمة «الكلو كلاكس كلان » ومنظمة القمصان الحمر .

وظل الرجل الاسود يشك في صلاحية المجتمع الامريكي وفي اهدافه وبدا يتساءل من جديد عن خير وسيلة للتحرر. وظهر في القرنين التاسع عشر والعشرين من ينادي بوجوب فصل السود الامريكيين تحت ادارة خاصة تمكنهم من تسيير شؤونهم بأنفسهم . وظهر من يميل الى دمج العنصرين وتجديد الثقة بينهما مثل مارتن لوثر كينج ومن يدعو للقوة السوداء مثل ستوكلي كارمايكل .

ولم يكن الامريكي ، خلال كل ذلك يكافح من أجل الوصول للقمر ، بل لم يكن هدفه أكثر من تحقيق العدالة الاجتماعية والتمتع بالحقوق التي اعترف له بها الدستور . ومازالت الحقوق الاساسية للسود ، تلك الحقوق التي تحدث عنها لينكولن وكندي ، مازالت موضع الرفض والازدراء ومازال السود يعانون من الضغوط الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

وقد يتساءل الانسان « لماذا كل هذا التمييز العنصري في الولايات المتحدة؟ ولماذا هو في الجنوب اكثر منه في الشمال ؟ ولماذا هو موجود في امريكا اكثر من كندا مثلا ؟ يوجد عدد كبير من السود في كندا . وقد ثبت أن الرجل الابيض في ولاية الميسيسبي يحمل كرها اعمق تجاه الامريكي الاسود من زميله الكندي .

لاريب ان العامل الاساسي في وجود التمييز العنصري وفي وجوده بمقادير اكبر في بلاد دون اخرى يرجع للتربية وللنظام الاجتماعي الذي يقوى ويغذي العوامل الثقافية والنفسية المؤدية للتمييز العنصري . انها طريقة للحياة ومواقف اخلاقية يتعلمها الطفل وينشأ عليها ، تحت انواع من الاغراءات والضغوط الاجتماعية .

لقد بلغت مشاعر التمييز العنصري لدى جنوب الولايات المتحدة درجة لم تقف في طريقها العوامل الدينية ولا الاخلاقية ولا الوطنية ولا علاقات القرابة في معظم الاحيان .

ولسنا هنا بصدد اصدار حكم شامل على جميع الامريكيين في جنوب الولايات المتحدة بانهم اشرار ولا على سكان الشمال بانهم اخيار . فهي مواقف وعواطف يبالغ فيها في منطقة ، عندما يعتقد انها تخدم مصالح مجموعة معينة وتجدر الاشارة الى انه بجانب الجو الجماعي المتطرف الذي .. يحرض على احتقار الامريكيين السود وسوء معاملتهم قد توجد أحيانا عوامل نفسية فردية تدفع الامريكي الابيض للابتعاد أو الاحتراس من المواطن الاسود . وقد تحدثت مرة الى امريكي كان من البيض المحظوظين والمثقفين . وقد ابدى كثيرا من النضج وحرية التفكير في مواضيع عديدة ماعدا مسألة الفروق الموجودة بينه وبين الامريكي الاسود .

منذ أن يبدأ الطفل في ادراك المحيط يوحى اليه باستمرار بأن النجاح يكمن في تقليد الرجل الابيض الذي يعتبر مثالا للحكمة وحسن التصرف . وكان المجتمع يوحي للواحد بأنه ذكي وللاخر بانه سيد وتجرى سموم الدعاية فتحطم قوى الابداع الكامنة في طفل وتنعشها في طفل آخر . وهكذا يعاقب المجتمع طفلا بحكم عليه بعدم صلاحيته للحياة ويحض عن طفل آخر فيؤهله للنجاح .

وتلعب الديانة دورا مهما في الحياة النفسية لدى السود الامريكيين والواضح أن معظم الديانات توصي بالتوجه الى خالق أعلى او قوة سامية ، بالتفكير في اليوم الاخر وباتباع عدد من الوصايا والمبادىء التي تقود للسعادة

فالديانة المسيحية تحرض على الاحسان وعمل البر وعلى العدل والتواضع ومحبة الجميع وكبت العواطف الضارة وتعلم بأن المخلوقات ضعيفة مجبولة على الخطا وتذكر الانسان بذنبه وبالحساب والعقاب والجزاء . الخ

وبما أن الامريكيين السود ترعرعوا في جو حكم عليهم منذ البداية بأنهم أشرار مخطئون فانهم يضطرون ، حسب تعاليم الكنيسة للاعتراف بأخطائهم وذنوبهم لكي ينعموا بالبركة والغفران. ولكن مطالبة الكنيسة لهم بالاعتراف انما يؤكد شعورهم بالاثم والخطء الذي اتهمهم به المجتمع .

بالاضافة لذلك نجد أن الاخطاء التي يطالبون بالاعتراف بها هي من صنع الرجل الابيض في امريكا ووفقا لتقاليده وثقافته وتمييزه العنصري . فالامريكي الاسود يتهم بالسرقة والاعتداء والمشاغبة والقمار والسكر وتكتسي هذه النشاطات صبغة خاصة لدى السلطات فيستغلونها «لتهدئة السود» كما تكتسي أهمية خاصة لدى الكنيسة فتوجه طاقاتها لمحاربتها والتشنيع بها.

يمكن القول اذا بأن نظام التمييز العنصري في امريكا هو نتيجة شنيعة لسياسة مرسومة ، تؤمن بتفوق الامريكي الابيض وتهدف لخنق المواطن الاسود لقد بلغ من اضطهاد السود في الولايات المتحدة أنهم أصبحوا يكرهون أنفسهم وأحيانا يظهرون بغير مظهرهم . لرهق الخوف والضغط بعضهم فتحولوا الى انتهازيين يصفقون مع الاقوى ويهتفون للمنتصر .